

# من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: محاصرة الدّعوة داخل مكة الحصار الاقتصاديّ، ووسائل الثّبات على دين الله تعالى

## بحث في السيرة

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

المهاجرين-". لماذا؟ ولكنّ النّجاشي ملك عادل، كما وصفه بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فرفض أن يسلمهم إلا بعد ما يسرع إلى كلامهم.

وسنعرض لما جرى بينهم - إن شاء الله تعالى -، إلا أنّ هذه السّفرة فشلت فشلاً ذريعاً . فتقول أمّ سلمة رضي الله عنها:-

"فخرج من عنده مقبوخين، مردوداً عليهما ما جاء به، لأنّ النّجاشي لما استمع إلى جعفر -رضي الله عنه-، وقرأ عليه شيئاً من القرآن الكريم، وحذّته عن دعوة الإسلام، وما تأمر به من أفراد الله تعالى بالعبادة، وما اشتملت عليه من الأخلاق، طرد وقد قريش شرّ طرّدة، وقال للمهاجرين: عيشوا حيثما تريدون."

ملاحقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في دعوته للقبائل.

كان -صلى الله عليه وسلم- من دأبه طرق كلّ الأبواب، من أجل دعوة النّاس إلى الإسلام، وينتهز المناسبات التي تشتمل على تواجد مجموعات من البشر، مثل: مواسم الأسواق؛ فكان يذهب إليها يدعو النّاس إلى الإسلام، وكذلك مناسبات الحج. ولكن قريشاً كانت تسعى جاهدة في إقناع النّاس بعدم الإصغاء إليه، أو حمايته. ومن أمثلة ذلك:

عن جابر بن عبد الله، قال: ((كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرض نفسه على النّاس في الموقف، ويقول: الأ رجل يعرض عليّ قومه؟ فإنّ قريشاً قد منعتني أن أبلغ كلام ربّي))، رواه أبو داود.

وعن محمد بن المنكدر، أنّ سمع ربيعة بن عباد يقول: ((رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطوف على النّاس في منازلهم، قبيل أن يهاجر إلى المدينة، يقول: يا أيها النّاس! إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً)). قال: وراءه رجل يقول: يا أيها النّاس! إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم. فسألت: من هذا الرجل؟ فقيل: أبو لهب.

وذكر ابن إسحاق والواقدي مجموعة من القبائل التي عرض عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- نفسه: كندة، وكنب، وبنو حنيفة - وردوا عليه رداً قبيحاً - وبنو عامر بن صعصعة، وغسان، وبنو محارب، وغيرهم، كان يأتيهم أيام منى.

وكذلك عرض نفسه -صلى الله عليه وسلم- على بني شيبان، وعرض عليهم الإسلام وبين لهم محاسنه، وما يدعو إليه من نبذ العصبية، والصّدق، والإخلاص. وقال صلى الله عليه وسلم- لبني شيبان، بعد ما طلبوا منه أن يتركهم للتفكير في الأمر، قال: ((ما أسأتم في الرّد، إذ أفصحت بالصّدق. وإنّ دين الله لن يضره إلا من حاطه من جميع جوانبه)).

ولم يرّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في ذلك يدعو إلى دين الله، ويأمر كلّ من لقيه ورأه من العرب كلّ عام . يثبّع الحاج، ويذهب إلى عكاظ، ومجنته، وذي المجاز؛ وهي: أسواقٌ تُقام في موسم الحج.

وروى الإمام أحمد وغيره، عن رجل من كنانة، قال: ((رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يسوق ذي المجاز، وهو يقول: يا أيها النّاس! قولوا: لا إله إلا الله، تغلّحوا)) وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب؛ وإذا هو أبو جهل.

وهكذا كان كفار قريش يتناوبون الخروج إثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لتحذير النّاس منه ومن دعوته، لأنهم يرون أنّ إيواء الدعوة عداوة لهم، وتشتكّل خطراً عليهم؛ وبالتالي كانوا يحذرون القبائل من إيواء الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام. محاولة منع المسلمين من الهجرة إلى المدينة:

في أثناء عرض الرسول - صلى الله عليه وسلم- نفسه على القبائل، التقى بسويد بن الصامت، أخي بني عمرو بن عوف، من الأوس، فدعاه إلى الإسلام، فلم يبعد ولم يجب، ثم انصرف. فقتل في بعض حروبهم، وقد كان رجال من قومه يقولون بأنه قد قتل وهو مسلم.

خلاصة— هذا البحث يبحث في أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى ومنها: محاصرة الدّعوة داخل مكة، الحصار الاقتصاديّ، ووسائل الثّبات على دين الله تعالى.

الكلمات الافتتاحية: الحصار الاقتصاديّ، ووسائل الثّبات.

## I. المقدّمة

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد أخي الطّالب، سلامٌ من الله عليك ورحمةٌ منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدّروس المقرّرة عليك في إطار مادّة السيرة النبوية، لهذا الفصل الدّراسي، أملين أن تجد فيها كلّ المتعة والفائدة، في هذا الدرس نتعرف على أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى ومنها: محاصرة الدّعوة داخل مكة، الحصار الاقتصاديّ، ووسائل الثّبات على دين الله تعالى.

## II. موضوع المقالة

ميلاده صلى الله عليه وسلم- الزّمان والمكان: هناك خلافٌ بين علماء السّير حول: العام، والشّهر، واليوم، والمكان الذي وُلد فيه -صلى الله عليه وسلم-.

محاصرة الدّعوة داخل مكة، وذلك من أجل أن تظلّ تحت السيطرة على مرأى ومسمع منهم، فهم لا يضمنون إن خرجت عن مكة أن يحاولوا الانتقام منهم والاعتداء عليهم. ولذلك حاولوا جاهدين منع هذه الدّعوة من الخروج من مكة المكرمة. ومن أمثلة هذا الأسلوب:

محاولة استرجاع المسلمين من الحبشة:

لما تفاقم الاضطهاد على المسلمين من قريش، في السنة الخامسة من البعثة، أذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهم قائلًا: ((إنّ بالحبشة ملكاً عادلاً، لا يظلم عنده أحد؛ فالحقوا ببلادها حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه!)).

ولما رأت قريش أنّهم استقرّوا بالحبشة، قامت بتشكيل وفد، ودفعت إليه الهدايا وما يستطرف عند ملك الحبشة ووزرائه ورجال دينه. وقد اختارت قريش لهذه المهمة: عمرو بن العاص، لما عُرف عنه من الدهاء، وعمارة بن الوليد. فلما دخل عليه سجدا له. وقيل: كان مع عمرو بن العاص، ربيعة بن المغيرة المخزومي. وقاموا بتوزيع الهدايا على النّجاشي وبناتقته. واجتمعوا مع البطارقة، وطلبوا منهم تأييد مطلبهم أمام النّجاشي، وأن لا يسمح لهم بالكلام.

تقول أمّ سلمة -رضي الله عنها- رواية حديث الهجرة إلى الحبشة: "ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النّجاشي كلامهم - كلام

ثم قدم مكة أبو الحَيسِر أنس بن رافع، في فتية من قومه بني عبد الأشهل، يطلبون الحلف من قريش. فدعاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الإسلام، فقال رجل منهم اسمه: إياس بن معاذ، وكان شاباً: يا قوم، هذا والله خير مما قدمنا له، فنهره أبو الحيسر ... فأنصرفوا إلى بلادهم، ومات أبو الحيسر، وكانوا يقولون بأنه مات مسلماً. كانت هذه بدايات الاتصال بسكان يثرب، وتوج ذلك ببيعة العقبة الأولى في منى. ثم تلثها الثانية، والثالثة التي مهدت للإسلام في المدينة. وبعد هذه البيعة، أذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه بالهجرة إلى المدينة. قال ابن إسحاق: فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ليلة العقبة، وكانت سراً عن كُفَّار قومه وكُفَّار قريش، أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من كان معه بالهجرة إلى المدينة. فخرجوا أرسالاً، خوفاً من قريش من أن تمنعهم. هذا أبو سلمة، لما عجزوا عن رده عن الهجرة، منعوا زوجته أم سلمة من الهجرة، وحبسوها، وفرقوا بينها وبين ابنها.

ولما أراد صهيب رضي الله عنه الهجرة، قالت له قريش: أتريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك! فقال صهيب: رأيتم إن تركت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فأخذوا كل ما عنده وتركوه.

وكان عمر بن الخطاب قد تواعد هو وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص، موضعاً يصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة. فاجتمع عمر وعياش، وحُبس عنهما هشام. الأسلوب الحادي عشر: الحصار الاقتصادي: حاولت قريش جاهدة أن تمنع نور الله، ولكن الله متم نوره ولو كرهت ذلك قريش، ومن هو على شاكلتها من الكفرة والملحدن قديماً وحديثاً. وقد ابتكرت أسلوباً كانت قُدوة للظلمة من بعدها، وهو أسلوب التَّجْوِيع الجماعي. حدثت عدة أمور، أفقدت قريشاً صوابها.

وهذه الأمور هي:

إسلام حمزة، ثم عمر، ثم رُفْضَه -صلى الله عليه وسلم- للمساومة، ثم اتَّفَقَ بني المطلب وبني هاشم، مسلمهم وكافرهم، على منع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والدَّفَاع عنه، والقتال دونه؛ إذا لا سبيل إلح.

فلجؤوا إلى أسلوب الحصار الاقتصادي: تجويع الجميع من أجل أن يتخلى الجميع عنه، ويبتعدوا عنه. ففرَّروا مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، حتى يسلموا محمداً -صلى الله عليه وسلم- للقتل.

روى ابن إسحاق، وغيره من أصحاب السير والمغازي: أن الصحابة قد نزلوا وأرضوا أصابوا بها أمناً، وأن عمر وحمزة أسلما، وأن الإسلام قد فشا في القبائل. أجمعت قريش على أن يقتلوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، ودعاهم إلى حماية الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فأجابوه لذلك، حتى كفَّاهم فَعَلُوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك، اجتمعوا وانتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاهدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ففعلوا ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً لأهميته هذا العمل في نظرهم. وانحاز بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب.

وكان بداية هذا الحصار الظالم في محرّم سنة سبع من البعثة، واستمر ثلاث سنين، حتى جهدوا. ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من أطلعوا إلى أنه أرسل إلى قريش شيناً من الصلوات.

وذكر السهيلي: أنهم جهدوا حتى أكلوا ورق الشجر. وكانوا إذا قدمت عير إلى مكة منعواهم من الشراء منها، حتى تعب المسلمون تعباً شديداً؛ فقد جاعوا ولم يجدوا ما يلبسونه. وهلك في هذا الحصار جماعة من المسلمين رضي الله عنهم وأرضاهم. وعلى الرغم من هذه المقاطعة، فإنها لم تثن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الدعوة. فقد كان يخرج في المواسم يدعو الناس إلى الإسلام، وكان عمه يخاف عليه من القتل، فكان يغيّر مكان نومه في الليلة الواحدة أكثر من مرة.

ولما أراد الله إنهاء هذه المحنة عن المسلمين، ومن كان معهم في الحصار، قام رجال من قريش في نقضها، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وزمعة بن الأسود، وأبو اليفخري بن هشام. وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلوات الأرحام، وقد وجد الصحيفة أكلت الأرضة كل ما فيها من ظلم وجور، كما أخبر بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمه قبل الإطّلاع عليها.

وسائل الثبات على دين الله تعالى:

الإيمان بالله تعالى: فالإيمان الجازم إذا خالط بشاشة القلوب، فإن صاحبه يستهون كل شيء في سبيله.

قيادة تهوي إليها الأفئدة: فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يتمتع من جمال الخلق، وكمال النفس، ومكارم الأخلاق، والشيم النبيلة، والشمال الكريمة، مما تتجاذب إليه القلوب، وتتفانى دونه النفوس.

الشعور بالمسؤولية: فقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يشعرون بالمسؤولية تجاه هذا الدين، وأن البشرية محتاجة إلى التوضيح من أجل إنقاذها.

الإيمان باليوم الآخر: فكانوا يعلمون علم اليقين: أنهم سيقفون أمام ربهم، وأنهم سيحاسبون على كل أعمالهم. وكانوا يعلمون أن الدنيا وما فيها لا تساوي جناح بعوضة في جنب الآخرة.

القرآن وتدرجه في النزول: وما يشتمل عليه من تنوع الأساليب، كان سبباً مهماً من أسباب الثبات. والقرآن يبشّرهم بالنصر، وأن العاقبة للمتقين: إِمَّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

البيانات بالنجاح: فقد نزلت في هذه الفترة العصبية من حياة المسلمين آيات تبشّرهم بغلبة المؤمنين، قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)، وقال تعالى: (سَيَهْرَمُ الْجَعْفُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ).

وكان -صلى الله عليه وسلم- يبشّر أصحابه بالنصر: ((قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم)).

## المراجع والمصادر

- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م.
- السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
- المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٥٥هـ.
- سيد الناس: عيون الأثر، ابن الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩م.
- محمد بن يوسف الصالحي: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٧٣م.
- ناصر الدين الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، المكتب الإسلامي ١٩٥٢م.
- القسطلاوي: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية، المطبعة الأزهرية ١٩١٠م.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
- عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام - دار الكتب العلمية - ١٩٩٦م.
- صفي الرحمن المباركفوي: الرحيق المختوم، دار الشرق العربي ٢٠٠٣م.
- الأزرقى: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط ١٩٧٠م.
- الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
- محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: دار القلم ١٩٩٦م.
- عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٣م.
- الفاشي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية ١٩٨٠م.
- محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة العاشرة ٢٠٠٣م. ٤

ابن هشام الأنصاري، عبد الملك بن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م